ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].



# الأمّة الحداثية الفرنسية
## من منظور ميشلِه (Jules Michelet)

**د. ياسين زينون**
أستاذ متعاقد تاريخ معاصر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الحسن الثاني – المملكة المغربية

## مُلَخّصْ

*تُشكِّل الأسرة بامتياز نواة أيّ تنظيم اجتماعي، وعَبْرَ رابطة الزواج بين الأقارب تغدو الأسرة عشيرة أو قبيلة، أمّا عندما تكون الروابط الجامعة بين أفراد المجتمع هي غير الانتماء الأسري فإننا ننتقل إلى وضع آخر أكثر تطوّرا تُمَثِّلُهُ المدن، فالتنظيم الاجتماعي الإنساني ما هو إلاّ تطوّر للقبيلة إلى المدينة ثم إلى الدّولة. أعطت الثورة الفرنسية للدّولة شخصية معنوية وصبغة قانونية مستقلة عن شخصيات الحُكّام سواء كانوا ملوكًا أو أمراء أو رؤساء. واعتبرت الحُكّامَ جهازا من أجهزة الحكم، يَتَبَدَّلُون ويتغيَّرون تَبَعًا للحاجات والظروف، أما الدّولة فباقية، لأنها ظاهرة اجتماعية أي وليدة للتعامل بين أفراد المجتمع. لقد اختلف مفكرو القرن التاسع عشر بشأن الدّولة، وإذا ما كان لها شخصية اعتبارية أما لا، فرأى Nietzsche Friedrich فريديريك نيتشِه (١٨٤٤ – ١٩٠٠) أن "الدّولة قد قامت في الأصل على أساس غير أخلاقي"، وجزم فريدريك هيجل (١٨٣١ – ١٧٧٠) Friedrich Hegel "بأهمية الدّولة إلى حَدِّ التَّأليه". وخلصت الآراء آنذاك، إلى أن الدّولة هي "التعبير القانوني عن الدّولة والوطن، وأنّ أي اعتداء على الدّولة إنما هو اعتداء على الأمّة والوطن، مادام تأسيس الدّولة مستمد من إرادة جماعية". خلال ذات الفترة انتشرت الأفكار القومية الأوربية بصورة ألهبت المشاعر وأعطت قدسية وربّما ألوهية لفكرة "الوطن" و "الأمّة" و"القوم"، وذلك بفضل تنظيرات عدد من المفكرين الشوفينيين، في طليعتهم جول ميشلِه Jules Michelet الذي تَمَثَّلَ دولة قومية أو أمّة حداثية فرنسية، مرجعيتها الأساس مبادئ ومكتسبات الثورة الفرنسية، وهو ما سنقوم بتحليله في هذا المقال. وقد اتبعتُ في هذه الدِّراسة المنهج التاريخي معتمدًا على أهم المصادر والمراجع في الموضوع.*

**بيانات الدراسة:**

| | | | |
|---|---|---|---|
| تاريخ استلام البحث: | ٠٦ | يناير | ٢٠١٨ |
| تاريخ قبول النشر: | ٢٠ | فبراير | ٢٠١٨ |

**كلمات مفتاحية:**
تاريخ فرنسا الحديث، البورجوازية، الثورة الفرنسية، المجتمع الفرنسي

**معرِّف الوثيقة الرقمي:** DOI 10.12816/0051239

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**
ياسين زينون. "الأمة الحداثية الفرنسية من منظور ميشلِه".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد التاسع والثلاثين؛ مارس ٢٠١٨. ص ١٠ – ١٧.

## مُقَدِّمَةٌ

نادى إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصّادر في ٢٦ غشت١٧٨٩ بمبدأ سلطة الشعب وتساوي الفرص واعتبر "الأمّة مصدر كل سلطة. وأن كل سلطةٍ للأفراد والجمهور من الناس لا تكون صادرة عنها تكون سلطةً فاسدة". مدافعًا عن مكتسب الأمّة كمكتسب جوهري للثورة الفرنسية، كَرَّسَ جول ميشلِه[١] مساره كمؤرخ وأستاذ بكوليج دوفرانس Collège de France[٢] للتنظير لقيام أمّة حداثية فرنسية تتخذ من مبادئ وتوصيات ثورة ١٧٨٩ مرجعية لها[٣]، وسَطَّرَ لفرنسا في هذا الإطار مشروعًا حداثيًا متكاملاً وشموليًا اعتمد في بنائه على قناعاته وتكوينه، أناط فيه بكل فرنسي أدوارا مُحَدَّدَةً لإنجاحه[٤]. فما هو مفهوم الأمّة الحداثية الفرنسية عند هذا المؤرخ؟

## أولاً: أُمَّة حداثية فرنسية مرجعيتها ثورة ١٧٨٩

لا يختلف اثنان في أن ميشلِه يظل أحد الأبناء البَرَرَة للثورة الفرنسية. توضح هذا المُعطى (Hermoine Azaki) هِرموان أزاكي[٥] وهي تتحدّث عن إيدكار كيني Edgar Quinet[٦] وميشلِه بقولها: "كانا مَعًا أبناءً للثورة الفرنسية : إيدكاركيني بأفكاره العميقة حول التجديد السياسي والاجتماعي لدفاتر ٨٩

وميشلِه التَّمِل باحتفالات الاتحادات".[٧] لِذا يرى ميشلِه أن ثورة ١٧٨٩ تُشكِّل بامتياز هُوِيَّةَ فرنسا وخصوصيتها المميِّزة بين الأمم، وهو ما يفصح عنه بالقول: "أيُّها الفرنسيون المنتمون إلى جميع الأوساط والطّبقات والأحزاب... عَلَيكُم أن تَعرِفُوا أن فرنسا ليس لها إلاّ اسمًا واحدًا يظل اسمها الحقيقي والخالد، هو: الثورة"[٨]، ويدعو مرجعيته الثابتة في ذلك- الثورة الفرنسية - إلى إرساء أسس السّلام والعدل والتطور في العالم، وسيادة روح التآخي بين الأمم،و مصالحة المواطنين في حُضنِ الوطن، يقول كْابرييل مونود[٩] Gabriel Monod في هذا السياق: "كانت قضاياه (أي ميشلِه) نبيلة ومقدَّسة، وتتلخص في كلمات السّلام والعدالة والتقدم. لقد أراد التوفيق بين الأمم في إطار التآخي العالمي، ومصالحة الأحزاب والطّبقات في حُضْنِ الوطن... فهذا ما أوصت به الثورة من منظوره".[١٠]

ما فتئ ميشلِه يُؤَكِّدُ على أن الأمّة الفرنسية تبقى مُكَلَّفَةً بقيادة التوجه الحداثي داخل العالم ونَشْرِ قيم المساواة والحرية والتآخي به[١١]، فَبَدِيهيٌّ إذن أن تَنظرَ فرنسا إلى غيرها من الأمم بِعَينِ الوِدِّ والتعاطف، و تُلَقِّنُ مواطنيها حُبَّ البلدان الأخرى، ما يجعل زوال الأمّة الفرنسية من الوجود امحاء لما تُمَثِّلُهُ من تعاطف وتآخي بين الأمم، كما يشير إلى ذلك هذا المؤرخ نفسه حين عبَّر: "إنَّنا نشكر الله الذي أعطانا هذا الوطن الكبير... الذي نَجِدُ فيه مُمَثَّل حرِّيات العالم، وأكثر الدول تَعَاطُفًا والتعليم على الحُبِّ العالميّ... افترضوا لو اختفت فرنسا وانتهت، فإن رابط تَعَاطُفِ العالَم سَيُدَمَّر".[١٢]

## ثانيًا: "الوطن" و"المدينة" كإطارين للأمّة الحداثية الفرنسية

### ١/٢- وَطَنٌ بِطَعمِ الصّداقة:

يرى ميشلِه أن عيش الإنسان في وَطَنٍ هو أمر لا يتناقض مع الطبيعة الإنسانية بل ينسجم معها، كما تشهد على ذلك الحضارة الإغريقية التي كان ازدهارها دليلاً على انسجام الوطن مع الطبيعة الإنسانية وتماهيه معها، فاقتطاع الفرد لنفسه مجالاً للاستقرار به، لهُوَ أحد عناصر قوة الفرد، لأن ثبات الروح الإنسانية في مكان ما يُقَوِّيهَا ويجعلها تُحِبُّ الفضاء الذي تقيم به، لِذا يَهِنُ ويضيع الإنسان غير المرتبط بوطن، وحول هذه النقطة كتب هذا المؤرخ يقول: "إنها لقُوَّةٌ لكل حياة أن تُحَدِّدَ وتقتطع شيئا ما لنفسها في المجال والزمن، وأن تَعُضَّ قطعة تكون لها في إطار الطبيعة اللاّمبالية والمُذيبة التي تريد دائما أن تمزج، فهذا يعني أن توجد وتعيش (أي الحياة)، مادام الفكر الثّابت في نقطة ما يتقوّى، والفكر الطّافي في المجال يتشتَّتُ ويزول، أنظروا إلى الرجل الذي يعطي حُبَّهُ لجميع النساء فهو يقضي حياته دون أن يعرف معنى الحب، فلو أَحَبَّ لمرة واحدة ولمدة طويلة لَوَجَدَ في عاطفة واحدة لانهاية الطبيعة وكل تَقَدُّمِ العَالَم، فَعِوَضَ أن يكون الوطن والمدينة معارضين للطبيعة، فعلى العكس من ذلك، فهما يُمَثِّلانِ لروح الشعب الوسيلة الأكثر قوة لتحقيق طبيعتها، ويعطيانها نقطة الانطلاق الحيوية وحرية التقدم، تَخَيَّلُوا العبقرية الأثينية دون مدينة أثينا، لقد كانت (أي العبقرية الأثينية) ستطفو وستهذي وستتيه وستموت مجهولة، تلك العبقرية التي حَقَّقَت في قرنين أو ثلاثة وهي محصورة في هذا الإطار الضَيِّقِ و السعيد لهذه الأرض اللّذيذة، حيث تقتطف النَّحلة عسل سوفوكل Sophocle[١٣] وأفلاطونPlaton ما أنجزه اثنا عشر- شعبًا وسيطيًا في ألف سنة".[١٤]

يرى ميشلِه أن الأمّة الحداثية الفرنسية تقوم في وطن مواطنوه أصدقاء لبعضهم البعض، وهو المعطى الذي يوضحه بقوله: "إنه لمجد كبير للجماعات القديمة لفرنسا، أنها كانت أول من أعطى الوطن اسمه الحقيقي، الذي أسمته ببساطتها الغنية بالمعنى والعمق: "الصّداقة، نعم، فالوطن في نهاية المطاف هو الصّداقة الكبيرة التي تضم كل الصّداقات الأخرى، إنني أحب فرنسا لأنها فرنسا، ولأنها بلد أولئك الذين أُحِبُّهُم وأحببتهم"[١٥]. سَتُخلَقُ بالرغم من التفاوتات الطبيعية القائمة داخل الوطن بين القوي والضعيف "مساواة مناقضة للطبيعة" كتلك القائمة داخل الأسرة بين أقويائها: الأب وأبنائه من جهة، وضِعافها: الأم والطفل الرّضيع من جهة أخرى، "مساواة" تجعل رَبَّ الأسرة وأبناءه في خدمة الأم والطفل الرّضيع، بالتالي يبقى المَثَلُ الأعلى للأمّة الحداثية الفرنسية هو تَبَنِّي الضعفاء من طرف الأقوياء حتى تكون "لا مساواة الطبيعة" في صالح الضعفاء، فالوطن الفرنسي وإن كان مواطنوه مختلفون، فإن حُبَّهُم لبعضهم البعض سَيَبُثُّ روح الانسجام بينهم، مما سيضفي تناسقًا على الأمّة الحداثية الفرنسية، ويتضح لنا هذا من خلال الإشارات الواردة عند هذا المؤرخ ومنها عبارته: "لا يَعِدُ الحُبُّ، ولا يَعرِفُ كيف يَقِيسُ، ولا يَهْتَمُّ أبدًا بحساب مساواة رياضية ودقيقة لا يمكن بلوغها، إنه يريد بالأحرى أن يتجاوزها وأن يخلق عادة ضِدَّ "لا مساواة الطبيعة" "لا مساواة" بمعنى آخر، فعلى سبيل المثال فهو (أي الحُبُّ) يجعل بين الرجل والمرأة الأكثر قوة خادما للأكثر ضعفا، إذ تعطي لا مساواة الطبيعة الأفضلية للقوي الذي هو الأب، أما اللاّمساواة التي يُغَيِّرُهَا الحُبُّ فتمنح الأفضلية للضعيف وللأكثر ضعفا وتجعله في الصدارة ( أي المرأة)، لِذا تكون للطفل الرّضيع الأفضلية داخل الأسرة، فالمَثَلُ الأعلى للمدينة الذي يتعين عليها أن تَتَّبِعَهُ، هو تبني الضعفاء من طرف الأقوياء، حتى تَكُونَ اللاّمساواة في صالح الضعفاء"[١٦]

ثَمَّةَ ركيزتان رئيستان تقوم عليهما الأمّة الحداثية الفرنسية، تشكِّلان العروة الوثقى التي تربط المواطنين الفرنسيين "الأصدقاء" هما: أَولاً: اهتمام المواطنين بأحوال بعضهم البعض، عبر اهتمام الغني بالفقير ورغبته في اقتسام ثرائه مع الفقير، ومساعدة الفقير للغني بأن يسعى إلى التقليل لديه من إحساس التعاسة الذي يُسَبِّبُهُ الغِنى، وحول هذه النقطة كتب هذا المؤرخ:" سَيُعَانِي الغني من الحياة واللاّمساواة، وَسَيَئِنُّ، وسيتمثل كل مجهوده في أن يتقاسم رَغَدَهُ، أما الفقير فَسَيَتَّسِعُ قَلْبُهُ وسَيُوَاسِي الغني".[١٧] ثانيًا: تضحيتهم في سبيل بعضهم البعض، طالما أن التضحية لا تَتِمُّ إلاّ في وطن يدوم إلى الأبد، ولأن الناس

لا يُضَحُّونَ ولا يتحمّسون للتعارف فيما بينهم إلاّ في إطار وطن "إلـه" و"مـذبح"، هـذان العنصران اللّـذان افتقـدتهما الإنسـانية خـلال العصر الوسيط، مما أجَّج حروبها آنـذاك، وَاقِـعٌ وضـعت الثورة الفرنسية حَدًّا له بعد أن مَنَحَتِ الفرنسيين وطنًا كان لهـم "إلهًـا" و"مـذبحًا" ومجـالاً للتضـحية وفضـاءً للتعـارف والاتحـاد، فاستحقت فرنسا بالتالي أن تكون عَرَّابَةَ التوجـه الحـداثي بالعـالم، وهو المعطى الذي يوضحه ميشـلِه بقولـه: "توجـد هنـا مشـكلة حقيقيـة، إننـا لا نضـحي إلاّ مـن أجـل مـا نعتقـد أنـه لانهـائي، فللتضحية يجب تَوَفُّرُ إله ومذبح... يتعارف فيه الناس ويَتَحَابُّونَ (أي الوطن)... لا، لقد وَعَـدَ العصر الوسـيط بالاتحـاد، ولم يُعـطِ سوى الحرب، لِذَا كان لِزاماً أن يعيش هذا الإله (أي الوطن) عُمْرًا ثانيًا، وأن يظهر على الأرض في تجسـده سـنة ٨٩... إنَّ فرنسـا الأُمُّ المجيدة للجميع هي من تُوَلِّدُ كُلَّ أُمَّة نحو الحرية".[١٨]

بِوَعيِ المواطن الفرنسي بهُوِيَّتِهِ الوطنية، فهـو يُحِـبُّ شـعوب الأرض، ويدرك أنه ينتمـي إلى وطـن عـالمي يضـم جميـع أوطـان العالم، ويعي قيمة وطنه فرنسـا بـين الأمـم، ويشـارك مـن خـلال تنميته لوطنه في ازدهار المعمور وتقدم الإنسانية، يقول كابرييـل مونود في هذا السـياق: "كـان الـوطن في نَظَـرِ ميشـلِه: "التّلقـين الضروري للوطن العالمي"، فَكُلَّـمَا دخـل الإنسـان عـلى حـد قـول ميشـلِه في عبقريـة وطنـه، كُلَّـمَا سـاهم في تناسـق الأرض (أي العَالَم)، فهو يَتَعَلَّمُ التصرف في هذا الوطن، ويشارك مـن خلالـه، ويُحِـبُّ العَـالَمَ"[١٩]. وَطَـنٌ يفـتح لمواطِنـه مجـالا أرحـب للقيـام بأنشطة متعددة، ويُخضِعُهُ من خلال الفنون والصناعة والثقافة الوطنية لتربية متميزة، فَتَعُمُّ الـروح المعنويـة جميـع المـواطنين، ويتم استبطانها مـن طـرفهم بشـكل غـير محسـوس، عـبر اللّغـة والحوار والعادات والمتاحف،[٢٠] مما يَكُونُ له عظيم الأَثَـرِ عـلى جميع الفرنسيين بما في ذلك المنتمين منهم إلى عامّة الشعب.[٢١]

**٢/٢- مدينة الجميع:**

تَمَثَّـلَ ميشـلِه أمّـة حداثيـة فرنسـية عبـارة عـن "مدينة"[٢٢]"Cité" يشـترك جميـع المـواطنين في تنميتهـا، لا تُعَـبِّرُ فقط عن الفئة "البورجوازية"، وإنما تضم أيضـا "عامّـة الشـعب" وتُمَتِّعها بجميع حقوقها، وهو المعطى الذي يوضحه بقولـه:"مـن لن يُشفِقَ على هـذا الشـعب الكبـير الـذي يَتَطَلَّـعُ ويَصـعَدُ مـن المناطق الحقيرة والمظلمة دون ضوء يَهتَـدِي بـه، والـذي لا يملـك في ذلك حتى صـوتا لِيـئِنَّ بـه؟... لكـن صـمته يـتكلم... يُقـال: أن يوليوس قيصر Jules César وهو يُبْحِرُ بمحاذاة سـواحل إفريقيـا، نام، فـرأى في منامـه جيشـا كبـيرا يـبكي ويَعُـدُّ ذراعيـه لـه، فَلَـمَّا اسـتيقظ، كتـب عـلى ألواحـه: كورينـث Corinthe[٢٣] وقرطـاج Carthage، وأعاد تشـييد هـاتين المـدينتين، فأنـا لَسْـتُ يوليـوس قيصر، ولكن كم من مَرَّةٍ رأيـت حُلمـه، فلقـد رأيـتُهم (أي عامّـة الشعب الفرنسي) يَبْكُونَ، فَفَهِمْتُ سبب بكـائهم...إنهم يريـدون المدينة ! ويطالبونها بأن تستقبلهم وتحميهم... فَلْـيَكُنْ هـذا أول دخـول لهـم إلى مدينـة القـانون المقصِـيّين منهـا حتـى الآن"[٢٤]. ويضيف: "انتقد أرسطو أفلاطون Platon، قائلاً: "تَتَشَكَّلُ المدينة لـيس مـن نـاس متشـابهين بـل مختلفـين"، وسأضـيف إلى ذلـك: "مختلفـين ومتناسـقين بالحُـبِّ الـذي يجعلهـم متشـابهين أكـثر فأكثر"[٢٥].

لقد رفض ميشلِه بعنادٍ دخول هذه المدينة إن لم تضم شـقي الأمّـة الفرنسـية هـذين، أو أقصـت أَيَّ فرنسي- بعـدم ضـمانها لحقوقه السياسية والاجتماعية، وهو ما يفصح عنـه بقولـه:"فلـو يكون بمقدوري أن أُوَسِّعَ المدينة حتى تكـون قَوِيَّـةً! فهـي تَهتَـزُّ وَتَتَهَـدَّمُ، مادامـت غـير تامَّـةٍ، وحصـرية، وغـير عادلـة، فعـدالتها تَكمُنُ في قُوَّتِهَا، فَإِن أرادت أن تكون عادلة فحسب، فلـن تكـون كذلك، بل يجب لها أن تكون مقدّسَة وإلهية...ستكون إلهيـة، إذا ضَمَّت جميـع أطفـال اللـه الموجـودين، وحتـى أكـثرهم تواضـعا (تَعِيسٌ ذلك الذي يَخجَل من أخيه) ...ضعفاء أو أقويـاء، بسـطاء أو حكماء، فليجلِبوا إلى المدينة، حِكمتهم أو عفـويتهم، فبإمكـان غير القادرين هـؤلاء والعـاجزين والأشـخاص البؤسـاء أن يفعلـوا الشيء الكثـير مـن أجلنـا (أي للطبقـة البورجوازيـة)، مـا دامـوا يمتلكـون سِرًّا لقـوة وخصـوبة مجهـولتين، ومنـابع حيّـة في عمـق طبيعتهم، فالمدينة و هي تستدعيهم، إنما تستدعي الحيـاة التـي تبقى قادرة لوحدها (أي الحياة) على تجديد المدينـة. إذن، بعـد هذا الطّلاق للرجُل مع الرجُل، وللرجُـل مـع الطبيعـة: فَلْيَحْصُـلْ هنا "التّصالح السعيد"... ولتـذهب المدينـة العَامِّيَـةُ مـن السـماء (أي من البورجوازيـة) إلى الهُـوّة (أي الشـعب)، ولـتَكُن شاسـعة كحضن الله...فإن بقي أحد في الخلف، فلن أدخل أبـدًا، وسـأبقى على العتبة".[٢٦]

## ثالثًا: أُمّة حداثية فرنسية متحدة

بِفِعلِ تغلغل المكننة داخل فرنسا، انقسم المجتمـع الفرنسي- خـلال القـرن التاسـع عشر- إلى فـريقين غـير متجانسـين هـما:"البورجوازيـة" و"عامّـة الشـعب"، مـما اسـتَرَقَّ الفرنسـيين وأرسى انعـزالاً وَحْشِـيًّا بيـنهم سـاهم في حقـدهم عـلى بعضـهم البعض وجعل المعاشرة بينهم في منتهى الصعوبة[٢٧]، لِـذَا بنـى ميشلِه قيام الأمّـة الحداثيـة الفرنسـية عـلى أسـاس الاتحـاد بـين شقيها هذين، اتحاد لم يكن ليتحقق إلاّ إذا أدركت "البورجوازية" و"عامّـة الشـعب" حـاجتهما إلى بعضـهما، وفهمتـا العلاقـة التـي تربطهما، وأَحَبَّ كل منهما الآخر، يقول ميشلِه: يجـب أن يَتَغَـيَّرَ القلب، وأن تَفْهَمَ الطبقات المتعارضة العلاقـة التـي تربطهـا"[٢٨]، ويضيف :"سيصبح كل هذا سهلاً، إذا فَهِمَ كـل طـرف أن انعتاقـه رهين بانفتاحه على الطَّرَفِ الآخر"[٢٩].

"فعامّة الشعب" المتميزة بحيويتها وفُتُوَّتِهَا، نتيجـة افتقادهـا "للحكمة الفلسـفية" المُسْـتَمَدَّةِ مـن العِلـم والثقافـة تبقـى غـير قـادرة عـلى التعبـير عـن أفكارهـا ومعاناتهـا، أمـا "البورجوازيـة" فتظل فاترة الهِمَّةِ وهي مفتقدة" للحكمة العفويـة" المتمثلـة في قـيم الشـجاعة والبطولـة والتضـحية والإيثـار[٣٠]، وحـول هـذه النقطة كتب هـذا المـؤرخ يقـول: "مشـهد غريـب! فمـن جهـة، هنـاك مخلوقـات (أي عامّـة الشـعب الفرنسي- تملؤهـا الحيـاة الشّابة والقوية... غير أن هذه الكائنـات لازالـت مغبوطـة، فهـي تظـل عـاجزة عـن تبليـغ أفكارهـا وآلامهـا، وهـاهم آخـرون (أي

البورجوازية الفرنسية) من جهة أخرى، وقد جمعوا كل ما صنعته الإنسانية من أدوات للتعبير، ولغات وتصنيفات ومنطق وبلاغة، لكن الحياة تبقى ضعيفة فيهم... فَهُم في حاجة لأن يعطيهم قَطْرَةً هؤلاء (أي عامّة الشعب الفرنسي) الصَّامتون الذين سَكَبَ فيهم الله مَائِيَتَهُ حتى امتلأوا.[٣١]

إن انفتاح البورجوازي والفقير على بعضهما البعض، لَيُلزِمُهُمَا بالتحلي بِسُمُوِّ النفس والبطولة؛ بأن يضحي الفقير بالحسد، ويتعالى على فقره، ولا يحاول الاستعلام عن السُّبُلِ التي راكم بها الغني ثروته، وبأن يعترف الرجل الغني بحق الفقير في الحياة، و يقتنع بضرورة الانفتاح عليه، وهو ما أشار إليه ميشلِه بقوله: "تَفرِضُ على الطرفين مَعًا سُمُوَّ نفس حقيقي هذه المساعدة وهذه الثقافة المتبادلة القوية والجِدِّيَةِ التي يَجِدُهَا كل منهما في الآخر... فنحن ندعوهما مَعًا إلى البطولة ... فبطولة الفقير، تتمثل في أن يُضحي بالحسد، وأن يَسمُوَ بنفسه فوق فقره، وأن لا يستعلم عن ما إذا كان الغني قد راكم ثروته بِسُبُلٍ مشروعة أم محظورة، أما بطولة الغني، فتتمثل في الاعتراف بحق الفقير وحُبِّهِ والذهاب عنده".[٣٢]

**الرجل البورجوازي[٣٣]**

"لن يستعيد رجل العِلم والثقافة حُرِّيته، هو الذي يبقى اليوم عَبْدًا للتجريد والمعادلات إلاّ عَبرَ اتصاله برجل العفوية، فشبابه وحياته اللذين يعتقد أنه يُجَدِّدُهُمَا من خلال أسفاره البعيدة يظلان هنا بالقرب منه لدى الشعب"[٣٤]، إنّها دعوة صريحة من ميشلِه للبورجوازي الفرنسي- مالك "الحكمة الفلسفية" لِأَنْ يَعِيَ أَنَّ تكوينه النظري قد أنساه واقع الحياة، ويُدرِكَ أن "الحكمة العفوية" التي يمتلكها الجندي والبحّار والمسافر والفلاح تمكنهم من رؤية الأمور بشكل مختلف عن ذلك الذي يراها به هو، ويقتنع بأنّ المعنى الحي للحياة الذي يمتلكونه سيساعده على الخروج من عَالَمِ الاصطناع والتجريد وعِلْمِ الكلام الذي يَظَلُّ حبيسه، وهو المعطى الذي يوضحه هذا المؤرخ بقوله: "ما ذا يجب أن يقول العَالِمُ في حضرة رجل الشعب ورجل الحركة والعمل؟ لقد نَسِيتُ العَالَمَ كثيرا أنا الذي تَرَبَّيتُ في عَالَمِ الورق، وتَأَثَّرتُ بالتجريد، حتى أصبحتُ مجرَّد كتاب... فها هو رجل لحسن الحظ، جندي؟ بَحّار؟ رَحّالة؟ وقد طَوَّرَتْ فيه التجربة العَقْلَ الرّاشد، والمعنى العملي الذي ينقص العلماء... القروي؟ لقد تماهى مع الطبيعة، واحتفظ بشيء من الغرائز الطبيعية... العامل؟ يجب أن نَأمَلَ نفس الشيء في هذه الطّبقة من العمّال التي لا تعيقها المهنة عن التفكير... إذن، إنه رجل أيضًا، لقد عاش وعانى، فالإحساس اليومي لحقيقة شاقة يفرض ملاحظة الأشياء بشكل مختلف عن ذلك الذي نراها به نحن من خلال الكتب؛ فهذا الرجل (أي الرجل المنتمي إلى عامّة الشعب) يظل مُهتَمًّا وملتزما في هذا العالم بشكل آخر؛ فأنا ملتزم فيه بأنظمتي، أمّا هو فمن أجل حياة أو موت زوجته أو أبنائه... فَلْنَتَقَارَب°، فالمشهد الوحيد لحياته الأكثر إيجابية سيساعدني على الخروج من الاصطناع والتجريد وعلم الكلام... فهذا الرجل يبقى ضروريا بالنسبة لي"[٣٥]، ويضيف قائلا:"لا يَهُمُّ؟ لماذا تُطالبون رجال العِلم بما أَلَّفُوهُ؟ فالإنتاجات الحقيقية للعبقرية الشعبية، لا تتمثل في المؤلّفات، بل في أعمال بطولية وكلمات معنوية وعبارات حماسية، كتلك التي تتناهى إلى مَسَامِعِي كل يوم من فَمِ عَامِّيٍ يبدو غير مُؤَهَّلٍ للإبداع... إنَّ الطّبقات التي نسميها دونية، تبقى بغريزتها جاهزة للتصرف... فهي لا تتحدث كثيرًا وتبَحُّ من الصراخ كما يفعل العلماء والعجزة، بل تَسْتَغِلُّ الفرصة لتتصرف بقوة، فالاقتصاد في الكلام يفيد طاقة الأعمال"[٣٦].

لِذَا على الرجل البورجوازي المثقف القيام بخطوتين رئيستين، أولاهما: الانفتاح على العامل الأُمِّيِّ ومشاركته حياته، بأن يتجه إليه ويعاني معه، مادام العِلمُ الذي يَمْلِكُهُ البورجوازي لا يُمَكِّنُهُ من فهم المعنى الحقيقي للحياة بحقائقه القوية والعميقة، لذلك فهو دائم الإخفاق، ووجوده عابر وخارجي ومصطنع، وهي المعطيات التي يشرحها ميشلِه بقوله: "كيف يعيش المرء دون أن يَعرِفَ الحياة؟ إذن، فنحن أي (البورجوازيون الفرنسيون) لا نعرفها (أي الحياة) إلاّ بثمن واحد: هو المعاناة والمعاناة... وأن يشترك المرء بإرادته في العمل والمعاناة، فماذا تريدون أن يَعْلَمَ غني حتى إن أُوتِيَ من العلم مالا مزيد عنه؟ فحياته تبقى بسيطة مادام يجهل الحقائق القوية والعميقة، فهولا يُمْعِنُ النظر، ولا يستند، و يجري، وينزلق، وكأنه يمشي على جليد، فلا يدخل إلى أي مجال ويبقى دائما في الخارج، ليصل غَدًا إلى نهايته في وجوده السريع والخارجي والمصطنع هذا، ليرحل جاهلاً كما أتى، فما نقصه هي: نقطة قوية، يُمْكِنُ لروحه أن تستند إليها وتُمْعِنَ فيها النظر"،[٣٧] ثانيهما: أن يُعرِّفَ رَجُلَ عامّة الشعب على العَالَمِ دون أن يغيِّر شخصية هذا الأخير، وأن يخلِّصه من العائق الذي يَحُولُ دون انفتاحه على محيطه، وحول هذه النقطة كتب هذا المؤرخ:" يتعيَّن على رجل وقت الفراغ (أي البورجوازي الفرنسي) المثقَّف والرّزين، أن يضع هذه الروح الأسيرة في علاقتها مع العَالَمِ، أن يغيِّرها ؟ لا، بل أن يساعدها على أن تبقى ذاتها، ويُزيل العائق الذي يمنعها من أن تستعمل جناحيها".[٣٨]

**رجل العامّة**

"على العكس من ذلك، لا يرى الفقير وهو مُثَبَّتٌ في نقطة مظلمة لا سماء ولا أرض، فما ينقصه هو القدرة على النهوض والتنفس ورؤية السماء، إذ يجب عليه وهو مُدَسَّرٍ في هذا المكان بِحُكْمِ القَدَرِأن يَمْتَدَّ ويُعَمِّمَ وجوده ومعاناته أيضا، و يعيش خارج هذه النقطة التي يعاني فيها، ولِأَنَّ له روحا لا نهاية لها، فَعَلَيْهِ أن يفتحها بشكل لانهائي... فهو يحتاج إلى الصّداقة، (أي الصّداقة مع الرجل البورجوازي)...."[٣٩] ويضيف ميشلِه قائلاً: "أما هذا الأخير (أي رجل العامّة) الذي يظل سجين الجهل والعزلة، فَسَيُمَدِّدُ أُفُقَهُ، وسيجد ريح الحرِّية، إن هو قَبِلَ لغة العِلمِ واحتَرَمَ فيها تراكم الأعمال الإنسانية "[٤٠]. إنها دعوة صريحة من هذا المؤرخ" للرجل المنتمي إلى عامّة الشعب الفرنسي-"، إلى إدراك الفائدة التي سيجنيها من انفتاحه على "الرجل الفرنسي- البورجوازي" المثقف ذي التجربة، وهو المعطى الذي يوضحه بقوله:"ماذا يجب أن يقول رجل الشعب في حضرة العَالِمِ؟ " ها هو رجل يُمَثِّلُ بتربيته الرَّاقية وتَرَكُّزِ

المعارف الذي تعطيه المطالعة والدراسة، حياة خمسين رجل، فهو يراكم جزءًا معتبرًا من التجربة الإنسانية، إن كلمة منه يُمكنها أن تُعَلِّمَنِي أن البحث الذي سأستنزف فيه طاقتي، قد تم إنجازه منذ مُدَّةٍ، هذا الرجل ضروري بالنسبة لي."[٤١]

## رابعًا: قانون نتاج اتحاد

تقوم المدينة الحداثية الفرنسية على إقرار "البورجوازية" و"عامّة الشعب"بأن الحكمة التي يملكها كل منهما لا تُمَثِّلُ الحكمة في شموليتها وليست إلاّ جزءا منها، وعلى التزام كِلاَ الطرفين بعدم فرض حكمتهما على بعضهما البعض، لأن الحكمة تنتج عن اتحاد بين "الحكمة الفلسفية أو الرَّزينة" و"الحكمة العفوية". لِذا وجب أن يشترك طرفا الحكمة الشمولية هذين في صياغة قانون يضمن حقوق جميع المواطنين داخل المدينة الحداثية الفرنسية، وهو ما عبر عنه هذا المؤرخ بقوله: "يتعيَّن...أن لا يَتَصَوَّرَ كل منهما (أي البورجوازية وعامّة الشعب الفرنسيين) أنه وحده يمتلك الحكمة التي يجب أن يفرضها على الآخر، فالثقافة الرَّاقية للأوائل (أي البورجوازية الفرنسية) لا تُمَثِّلُ كل الحكمة، وليس لها الحق في أن تحكم، والعفوية وطاقة الآخرين (أي عامّة الشعب الفرنسي) حتى إن كُنَّا نُدرِكُ من خلالها الإبداع السعيد الطبيعي، لا تُجسِّد بدورها كل الحكمة، ولا تملك الحق في الحكم، إن الحكمة تنتج عن اتحاد قوتين (أي "الحكمة الفلسفية" و"الحكمة العفوية")، إذن فلتكن المَلِكَةَ ولتُؤَسِّسِ القانون"[٤٢]. ويضيف قائلاً: "إذا أردنا أن يكون الهدف هو: الخلاص، فنحن نؤكد على أن "الحكمة الفلسفية" لن تَضمَنَهُ لوحدها؛ فيجب لذلك تَوَفُّرُ الحِسِّ الجيد للشعب، طالما أن العِلْمَ لا يملك الحكمة كُلَّهَا، فهناك "الحكمة العفوية" واستقامة الغريزة الطبيعية، والإلهام الشعبي، والتجربة العملية لأولئك (أي بسطاء الشعب الفرنسي) الذين يفعلون ويعانون ويَحْمِلُونَ أثقل وزن للحياة. كانت الإنسانية ستموت بالتأكيد مائة مرة وهي تنتظر ولادة نظريات تخلق نظاما اجتماعيا يَضْمَنُ الخلاص للأمّة، فَمِنَ العبقرية الشعبية أزهرت بشكل عفوي الديانات والمؤسسات والقصائد... إن "الحكمة العفوية" تبدأ كل شيء، فهي رَحِمُ الجنس البشري، ونقطة انطلاقة "الحكمة الفلسفية" مُنَافِسَتِهَا... ففيها (أي في الحكمة العفوية) يَكمُنُ حق الشعب (أي حقه في الحكم والتسيير)... لكن تبقى "الحكمة الرَّزينة" أو "الفلسفية" حكمة الأقلية، فكيف تَستَمِدُّ منها هذه النخبة (أي البورجوازية الفرنسية) الحق في حُكْمِ الجميع؟".[٤٣]

يتنافى قانون "المدينة" مع القانون الجائر الذي ساد أوربا قبل الثورة الفرنسية، فهو قانون يتغيّى تحقيق العدالة بالمدينة الحداثية الفرنسية، ويُعَبِّرُ عن صوت المواطنين الفرنسيين ويترجم أفكارهم ويقودهم إلى نَبذِ اختلافاتهم الظاهرة، ويُوَعِّيهم بوحدتهم العاجزين عن إدراكها، وحول هذه النقطة كتب ميشلِه يقول: "لا، ليس القانون سيِّدًا وطاغية وجلاّدًا، بل هو مُتَرجِمُ فكر الشعوب، والعضو الذّكي والعطوف للجميع .... فهو يَحُثُّ الناس على ترك اختلافاتهم الظّاهرة التي يعتقدون من خلالها أنهم معارضون لبعضهم البعض، ويقودهم إلى الاتحاد،..."[٤٤]. لصياغة هذا القانون، يَتَعَيَّنُ على كُلٍّ من "البورجوازية" و"عامة الشعب" الفرنسيَيْن التّعالي عن النزوات واستشارة عفوية الضعفاء العاجزين عن التعبير عن ذاتهم، حتى يكون القانون المُصاغ شبيها "بالنظام التربوي" الذي يُعَلِّمُ الإنسان ما يجول في خاطره ويَشْرَحُهُ له، ويبيِّن له ما هو كامن في أعماق نفسه.

سَيُقَنِّنُ هذا القانون من جهة حياة الإنسان الفرنسي وسَيُعَبِّرُ عن رغباته المُضمَرَة وعن تطلعاته التي لا تمس بحقوق الغير، وسيحميه من طيشه في لحظات وَهَنِهِ المعنوي، حتى يكون مواطنا نزيها ومثالا يُحْتَذى، وهو المعطى الذي يوضحه ميشلِه بقوله: "يَنتُجُ القانون عن الاتحاد، وعن زواج المدينة، فهو يَفرِضُ على هؤلاء وأولئك (أي "البورجوازية" و"عامة الشعب" الفَرَنسِيَين) ما أرادوه، إنه صوت الاتحاد، إذ يتعرف فيه كل فرد على حَدسِهِ وفكره ... فالقانون هو الابن العفوي للروح البشرية، لأن سِرَّهُ يظل شبيها بِسِرِّ التربية التي تُعَلِّمُ الإنسان وتفسِّر له وتنير له ما هو كامن فيه، إذن! نفس الشيء ينطبق على القانون الذي يفرض على الإنسان ما كان كامنا فيه، وما أراده وهو مُتَّفِقٌ مع الجميع... فَرُبَّمَا رَغِبَ من خلال إرادة ضعيفة وعابرة غيَّرت ميله، فهو (أي المواطن الفرنسي) يَمنَعُ نفسه من هذا التغيير، ويضع إرادته المثلى في القانون، ويقول له: "احمني من نفسي واجعلني مؤمنا، وكن قاعدتي، آه ! يا أفضل أيّامي."[٤٥]

وسيستجيب من جهة أخرى لِمُيولاَتِ جميع الفرنسيين، وسَيُعَبِّرُ عَن ما هو كامن في عاداتهم، وما ينوون القيام به، وما يريدونه، وسَيَضْمَنُ حق الجموع العريضة من الشعب التي تعارض عن جَهْلٍ أحيانا التوجه العام للأمّة، والتي لا يجب سحقها بل تربيتها وتمدينها عبر طرائق تعليمية يَسْهُلُ استيعابها تُيَسِّرُ اندماج عامّة الشعب في الأمّة الحداثية الفرنسية، وهو ما عَبَّرَ عنه هذا المؤرخ بقوله:" تظل هذه المبادرة النّبيلة، إِرْثَ الجميع والمِلْكَ الشرعي للإنسانية! يجب أن يخرج القانون من حركة نبيلة لِلْكُلِّ، ومن تضحية الجميع، وفي سبيل ذلك تتعين التضحية بالرغبة والمصلحة... فَمَن يَمْلِكُ الحق في منع أبسط الناس من المشاركة في هذه التضحية السّامية؟ يجب أن يساهم كل فرد وِفْقًا لمستوى فكره وإرادته، العفويون بعفويتهم، والرَّزينون والمجرَّدون بِرَدِّ فعلهم المجرد، حتى يُعَبِّرَ القانون عنهم جميعا، ويأمرهم بشكل عام بما هم بصدد القيام به، وبما هو كامن في عاداتهم وميولاتهم، وبما يريدون القيام به، وأحيانا بما يريدون إرادته، فبعد أن عَبَّرَ القانون عن الفكر الأكيد (أي "الحكمة الفلسفية")، فعليه الآن وحتى يَغْتَرِفَ من إلهام التقدم أن يَسْتَشْعِرَ الفكر المجهول، ويستشير العفوية (أي "الحكمة العفوية") التي لم تُعَبِّرْ عن نفسها، فهنا يَتَمَوقَعُ ...حق الأغلبيات اللاّمتحركة التي تجهل حقها، وتنخدع في أسباب معارضتها للتوجه العام، فلا يتعلق الأمر بسحقها بشكل مريع، ولكن باحتوائها من الجميع، عبر وسائل التربية والحضارة ودعاية

حادقة شفوية ومكتوبة، حتى تَعِيَ أنها تنتمي إلى الأغلبية (أي الأمّة الحداثية الفرنسية)".[٤٦]

## خامسًا: التعليم المتبادل "كَلُحمَةٍ" للأمة الحداثية الفرنسية

بتعليم "البورجوازية" و"عامّة الشعب" لبعضهما، سيتدعّم مكتسب الوحدة أكثر داخل الأمّة الفرنسية، لِذَا ناشد ميشلِه شقي الأمّة الفرنسية هذين أن ينخرطا معا في حركة اجتماعية، يقومان خلالها بتبادل أدوارهما، بحيث يصعد "الشعب الأُمِّيُّ" لأخذ "الحكمة الفلسفية" من "الفئة المثقفة البورجوازية" التي يتعين عليها بدورها أن تنزل إلى عامّة الشعب لِتَنهَلَ من "حكمتها العفوية". يُشَبِّهُ ميشلِه هذه الدينامية التعليمية التي ستميِّز المدينة الحداثية الفرنسية مستقبلاً، بِتَدَفُّقِ الدم في شرايين وأوردة الجسم البشري، ويرى فيها الصورة الحقيقية لمدينة فرنسية ومتحضّرة لازالت لا تجسدها الأمّة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر، وهو ما يفصح عنه بقوله: "... يجب عليهما (أي "البورجوازية" و"عامّة الشعب" الفرنسِيَيْنِ) أن ينخرطا في الحركة الاجتماعية، بل أكثر من ذلك، يتعيَّن عليهما أن يتناوبا ويتبادلا أدوارهما، وأن يَصعَدَ الشعب إلى العِلم، ويصبح رجل العِلمِ جزءًا من الشعب، ويتعافى وينتعش من منابع العفوية والحياة. إن دورة الدم المزدوجة: دم العروق والأوردة وتحوُّلها المتبادل، لَهِيَ الصورة الصّادقة لمدينة حقيقية إنسانية ومتحضّرة، لازالت فرنسا حتى الآن في حالتها البدائية"[٤٧]، ويضيف قائلاً: "تُشَكِّلُ الحكمتان "العفوية" و"الفلسفية" والتعليم الدّائم للروح الصورة العميقة لحركة المدينة التي يجب أن تكون حياتها تعليمًا متبادلاً من الطبقات العفوية والمثقفة لبعضها البعض"[٤٨]، ويضيف: "يَتَعَيَّنُ على الرجال العفويين والمُلهَمِينَ في المدينة أن يتحولوا على الدوام إلى رجال مثقَّفين، على أن يَعُودُوا بعد أن يصبحوا مِثلَهُم (أي مثل الرجال المثقفين) لأخذ الدفء في أحضان الطبقات العفوية، لأن المدينة ليست قانونًا ثابتًا وميِّتًا من البرونز، بل هي تربية متبادلة للأُمِّيِّ من طرف العَالِمِ، وللعَالِمِ من لَدُنِ الأُمِّيِّ".[٤٩]

بَيدَ أن هذا التعليم ذي الوقع الإيجابي على المُتَلَقِّي، لا يقتصر على تعليم المثقف للأُمِّيِّ وتربية هذا الأخير للبورجوازي على شيم البطولة والشجاعة والتضحية، بل ينبني بالأساس على تلقين كل من "البورجوازية" و"عامّة الشعب" الفرنسيين بعضهما حُبَّ الوطن والإنسانية، مُهِمَّةٌ سيضطلع فيها بدور محوري كل من: "الشاب الفرنسي البورجوازي المثقف" "le prud'homme"[٥٠] الذي يملؤه الحماس والحيوية ويجد متعة في تعليم البسطاء حُبَّ الوطن والإنسانية، و"الرجل الفرنسي الكهل المنتمي إلى عامّة الشعب" الذي يحكي بانشراح تجاربه الإيجابية للشباب البورجوازي، وحول هذه النقطة كتب ميشلِه يقول: "يجب أن يكون التعليم في مجتمع متقدم مهنة الجميع... فَثَمَّةَ عمران صالحان للتعليم الوطني، يَتَعَيَّنُ أن يزرعا في القلب: حُبَّ الوطن والإنسانية، سيتكلف بذلك، كل من الرجل الشاب المتحمِّس، الذي يجد سعادة في تبليغ أفكاره، وهو في قوته الكاملة لِعُمرٍ لم يبدأ في الحياة بعد ومليء بالرغبات، والرجل الناضج الذي عَمِلَ وعانى... والذي سيجد متعة حقيقية وهو ينقل إلى الشباب ثمار تجربته وآلاف المبادئ الإيجابية التي يُؤمن بها... سيكون التعليم المتقطِّع في مجتمع راقٍ كمجتمعنا، وأنا لا أَشُكُّ في ذلك، وسيلة قوية للتأثير؛ لذا علينا أن نستفيد من هذه القوى المتعددة، من اندفاع الرجل الشاب، ومن تجارب العجوز، من شعلة أحد، ومن نور آخر".[٥١]

في هذا الإطار اقترح ميشلِه الذي أَكَّدَ غير ما مرة على أن الأسرة تظل قاعدة المدينة الحداثية بامتياز[٥٢]، أن يتبنَّى مؤقتا الفرنسيون أبناء بعضهم البعض، بأن تتبنّى مؤقتا الأسر "البورجوازية" أبناء أسر "عامّة الشعب" التي يتعيَّن عليها من جهتها أن تتبنّى مؤقتا أبناء الأسر "البورجوازية"، على أن تُعَلِّمَ كل أسرة العناصر الجديدة الوافدة عليها كتعليمها لأبنائها الحقيقيين، حتى يَسهُلَ على الأبناء المُتَبَنِّينَ استيعاب الأفكار، مما سيتدعم معه التآخي والوحدة داخل الأمّة الفرنسية، وهو ما يفصح عنه هذا المؤرخ بقوله:"لا تحتقروا التعليم والمشاركة، كما فَعَلنَا، فَسَيُشَكِّلاَنِ مستقبلاً عنصرًا فعّالاً للتأثير؛ إذا نحن أَزَلنَا اللاّمساواة، واتخذناهما كرعاية متبادلة بين ناس متساوين وتبادل للأطفال والفنون، على سبيل المثال: سَأُودِعُ ابني عند موسيقي كبير، وسأقول للموسيقي: "عَلِّمه فَنَّكَ: الذّوبان والتزامن والسِّر- واللاّنهاية"، "لا يبدأ التآخي دون أُبُوَّةٍ"، أُكَرِّرُ ذلك: يُمكِنُ أن تتشكَّل حول أُبُوَّةِ التَّبني العادات القَوِيَّةُ والاستيعاب التدريجي للأفكار التي تقود إلى الوحدة"[٥٣].

## خَاتِمَةٌ

قصارى القول؛ لقد نَظَّرَ ميشلِه لأمّة حداثية فرنسية مرجعيتها مبادئ ومكتسبات ثورة ١٧٨٩، تَكُونُ ذلك "الشخص المعنوي الحر، الجَامِعِ غَيرِ المُفَرِّقِ الذي له قدسيته في نفوس أبنائه، والذي يعطيهم شعورًا بالفخر، ويجعلهم وكأنهم على قلب رجل واحد". ويبدو أن هذا المؤرخ قد تمثَّل إطارين لهذه الأمّة: "وطن" تربط أواصر الصداقة بين مواطنيه، و"مدينة" يتمتع فيها جميع الفرنسيين بحقوقهم السياسية والاجتماعية، ويَتَّحِدُ بها على أساس التعليم المتبادل شِقَّا المجتمع الفرنسي: "البورجوازية" مالكة "الحكمة الفلسفية" و"عامّة الشعب" مالكة "الحكمة العفوية"، حتى يتسنّى للفرنسيين صياغة قانون تَلتَفُّ حوله الأمّة الحداثية الفرنسية.

## الهَوامِشُ:

(١) **جـول ميشلِه:** (١٧٩٨ – ١٨٧٤)، مؤرخ فرنسي، من بين أهم مؤلفـــاته: "تاريـــخ فرنســا "*Histoire de France*" الـذي أصدره في سبعة عشر جزءا خلال الفترة الممتدة بين سنتي ١٨٣٣ و١٨٦٧. انظر: أطروحتنا لنيل الدكتوراه في التاريخ برسم الموسـم الجـامعي: ٢٠١٣-٢٠١٤: "**منطق الكتابة التاريخية عند المؤرخ جـول ميشـــلِه Jules Michelet**"، جامعة محمد الخامس أكْـدال، كليـة الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

(٢) **كوليج دو فرانس:** في سنة ١٥٣٠ أنشأ فرانسوا الأول François 1er (١٤٩٤-١٥٤٧) هذه المؤسسة التي ضمت على امتداد القرن التاسع عشر حوالي خمسين منبرًا في مختلف فروع المعرفة.

(٣) ينعث ميشلِه الثورة الفرنسية "بالمؤسسة" لأنها أحدثت بمبادئها وتوصياتها قطيعة مع النظام القديم.- للمزيد حول هذا الموضوع، راجع:

-Paul Viallaneix, *Cours au Collège de France par Jules Michelet*, Paris, Gallimard,1995, tome.II ,pp.17-47.

(4) للمزيد حول المشروع الحداثي لميشلِه، راجع:

-Jules Michelet, *Cours professé au Collège de France par Jules Michelet 1847 -1848,* Paris, Chamerot, 1848, pp.1-303.

- Jules Michelet, *Le Peuple,* Paris, Marcel Didier, 1946, pp. 203-272.

- P. Viallaneix *Cours au Collège de France…, op.cit.,* tome. II, cours de 1849, L'Amour comme éducation, pp.439-522, cours de 1850, Éducation de la femme et par la femme, pp.523-626, cours de 1851, Mon droit et mon principe, pp.627-709.

- يـزينون: "**منطق الكتابة التاريخية عند المؤرخ جول ميشلِه...**" مرجع سابق: ص 426-346.

(٥) **هِرموان أزاكي:** (١٨٢١-١٩٠٠)، هي أرملة المؤرخ إيدكار كيني Edgar Quinet (١٨٠٣-١٨٧٥)، ومن بين مؤلـفـاتـها: خمسـون سنة من الصداقة: ميشلِه وكيـني (١٨٢٥-١٨٧٥) *Cinquante ans d'amitié Michelet-Quinet (1825-1875)* الذي نشرته سـنة ١٨٧٥. (سنعرف بالأعلام التي نرى أنها تحتاج إلى تعريف).

(٦) **إيدكار كيني:** (١٨٠٣-١٨٧٥)، مؤرخ فرنسي، ومن بين مؤلفاته: "عبقرية الأديان" *Le Génie des religions* "الذي أصدره سنة ١٨٤٢.

(7) Mme Quinet, *Cinquante ans d'amitié Michelet-Quinet (1825-1875),* Paris, Armand Colin et C(ie), 1899, p. 187.

(8) - J. Michelet, *Le Peuple, op.cit.,* p. 29.

(٩) **كْابرييل مونود:** (١٨٤٤-١٩١٢)، مؤرخ فرنسي، ومن بين مؤلفاته: "حـيـاة وفـكـر جول ميشله (١٧٩٨-١٨٥٢)"" *La Vie et La Pensée de Jules Michelet (1798-1852)* الذي صدر سنة ١٩٢٣.

(10)- Gabriel Monod, *Les Maîtres de l'histoire, Renan, Taine, Michelet,* Paris, Calmann Lévy, 1894, p. 207.

(١١) حول مُقَوِّمَاتِ الريادة الحداثية لدى فرنسا، راجع: يـ زينون:"**منطق الكتابة التاريخية عند المؤرخ جول ميشلِه...**"، مرجع سابق، ص:١٦٢-١٦٥.

(12) G. Monod, *Les Maîtres de l'histoire,….op.cit.,* p. 236.

(١٣) **سوفوكل:** (٤٩٦ أو ٤٩٥ قبل الميلاد – ٤٠٦ أو ٤٠٥ قبل الميلاد)، مسرحي إغريقي، ومن بين مسرحياته: "إيليكترا"*Electra*" التي ألفها بين سنتي ٤٣٠ و٤٢٠ قبل الميلاد.

(14) J.Michelet, *Le Peuple, op.cit.,* pp.232-233.

(15) *Ibid.,*pp. 203-204.

(16) *Ibid.,* pp.206-207.

(17) *Ibid.,* p. 209.

(18) *Ibid.,* p. 229.

(19) G. Monod, *Les Maîtres de l'histoire, …, op.cit.,* p.231.

(20) J. Michelet, *Le Peuple., op.cit.,* pp.233-234.

(٢١) انقسم المجتمع الفرنسي خلال القرن التاسع عشر إلى فريقين غير متجانسين هما: بورجوازية مثقفة وشعب أمي، للمزيد حول هذا الموضوع، راجع:

J.Michelet, *Le Peuple*, *op.cit*., pp : 220-229.

J Michelet, *Cours professé au Collège de France …,* première leçon, (16 décembre 1847),pp.9-31,et, deuxième leçon, (23 décembre 1847), pp. 35-64.

(٢٢) بخصوص مشروع "المدينة" "la cité" لدى ميشلِه، راجع: - **يـ زينون، "منطق الكتابة التاريخية عند المؤرخ جول ميشلِه..."**، م. س، ص- ص:٣٦٦-٤٤٦.

J. Michelet, *Cours professé au Collège de France…, op.cit.,* huitième leçon, 3février 1848, (Leçon non professée.), pp.219-226.

J.Michelet, *Le Peuple*, *op.cit*., pp.197-212.

(٢٣) **كورينث:** مدينة إغريقية قديمة كان يوجد بها ضريح إلهة الحب والجمال عند الإغريق: "أفروديت" "Aphrodite"، وتقع حاليا في محافظة البيلوبونيز Péloponnèse بالجنوب الشرقي لليونان.

(24) J. Michelet, *Le Peuple, op.cit.,* pp.200 – 201.

(25) *Ibid.,* pp.206-207.

(26) *Ibid.,* pp.201- 202.

(27) Paul Viallaneix, *Michelet, les travaux et les jours 1798 – 1874,* Paris, Gallimard, 1998, p.289.

(28) J. Michelet, *Cours professé au Collège de France…, op.cit.,*huitième leçon, 3 février 1848, (Leçon non professée), p.221.

(29) J.Michelet, *Le Peuple, op. cit.*, p.210.

(٣٠) للمزيد حول الحكمتين العفوية والفلسفية، راجع:

- J.Michelet, *Le Peuple*, *op.cit*., pp209 - 211 et 146 - 150.

- J. Michelet, *Cours professé au Collège de France…, op.cit.,*huitième leçon, 5 février1848, (Leçon non professée), pp.211-237.

- يـ زينون :"**منطق الكتابة التاريخية عند المؤرخ جول ميشلِه** ..."، م.س، ص:٣٥٢- ٣٦٤.

(31) J.Michelet, *Le Peuple, op. cit.,* p.200.

(32) *Ibid.*

(٣٣) نقصد بالرجل البورجوازي المثقف، الفرنسي البورجوازي المُتَعَلِّمُ.

(34) J.Michelet, *Le Peuple, op. cit.*, p.210.

(35) *Ibid.,* pp.222 - 223.

(36) *Ibid.,* pp.146 - 148.

(37) *Ibid.,* p.209.

(38) *Ibid.,* pp.209- 210.

(39) *Ibid.,* p.209.

(40) *Ibid.,* p.210.

(41) J. Michelet, *Cours professé au Collège de France…, op.cit.,* huitième leçon, 3 février 1848, (Leçon non professée), p .222.

(42) *Ibid.*, p.223.

(43) *Ibid.,* pp.216- 217.

(44) *Ibid.,p.* 226.

(45) *Ibid.,* pp.223- 224.

(46) *Ibid.*, pp.225- 226.

(47) *Ibid.,* p.221.

(48) *Ibid.*, p.220.

(49) *Ibid.,* p.219.

(٥٠) للمزيد حول دور الرجل الشاب البورجوازي المثقف داخل المجتمع الحداثي الفرنسي راجع:

- J. Michelet, *Cours professé au Collège de France*, *op.cit.,*quatrième leçon, 6janvier1848, (Leçon non professée.), pp.107-١١٤.

- يـ زينون: "**منطق الكتابة التاريخية عند المؤرخ جول ميشلِه**..."، م. س، ص:٤١٢-٤١٧.

(51) Jules Michelet, *Nos fils,* Paris, Ernest Flammarion, 1895, pp.567 -568.

(52) G. Monod, *Les Maîtres de l'histoire, op.cit.,* p.229.

(53) P Viallaneix, *Cours au Collège de France par Jules Michelet*, *op.cit.,* t.II, 1845-1851, cours de 1850, Éducation de la femme et par la femme, second semestre : Pour une révolution durable, troisième leçon, jeudi 2 mai, Le ménage… la bonne Circé, foyer cuisine, médecins, p. 600.